

« اذهب ومر ودق على أبواب الشبان الذين تزوجوا منذ فترة قريبة ورتبوا حياتهم جيدا ، كل تلو الآخر : مساء الخير ، ايها الاصدقاء الشبان ، ما هي أعمالكم ؟ بماذا أنتم مشغولون ؟ بماذا تعيشون ؟ هل الحياة بهيجة بالنسبة لكم ؟ هل ما حلمتم به حصلتم عليه؟ هل هو طيب ان تجرون من يوم لآخر ؟ هل ترغبون في ان يكون هناك غد؟ وتنقل من منزل لآخر ، واسأله ، واسألها ، تلك المرأة الشابة التي نضجت فوراً ... » (٥٠٦) .

ولم يكن هناك أحد في الجماعة لديه القدرة على مجادلة ياكوش ومناقضة أقواله القاسية ، عن الفراغ النفسي ، وعن الشيخوخة الروحية والملل واللامبالاة التي تحل بالشبان ، الذين كانوا بالأمس القريب مثاليين ومتفانين روحا وقلبا من أجل قضية لقنومهم مبادئها .

ان أهوال الحرب قد هزت هؤلاء الشبان وجعلت هناك حاجزا نفسيا بينهم وبين المجتمع الذي فرض عليهم أن يقتلوا باسمه وأن يكونوا على استعداد للقيام بالاغتصاب والسلب والنهب من أجله ، وأصبحوا لا يرون كيف يمكنهم أن يندمجوا في الحياة في أيام السلام . . تلك الايام التي يحملون بها . ان الامل في العثور على السعادة والاهتمام بقضية عادلة ليست محل استفهام ومراجعة بالنسبة للمجتمع قد تعرض لاشياء عجيبة وحل محله الاحساس بالاختناق بين الفراغ في الماضي وانعدام الطريق نحو المستقبل بالنسبة للفرد .

امي ، لقد قتلت !

لقد عمدت الحركة الصهيونية في فلسطين الى تربية الفتيان اليهود أبناء المهاجرين القدامى داخل اطار « حركات الشباب » الصهيونية تربية عسكرية ، وذلك بدعوى ان « اليشوف » اليهودي في فلسطين في حاجة الى اطار عسكري خالص لحمايته من أهل البلاد الاصليين ، من الفلسطينيين . وعلى هذا الاساس فان المقاتلين الرئيسيين في « أيام تسيكلاج » كانوا من ذوي الخبرة القتالية على الرغم من انه لم تكن لديهم أية خبرة في الحياة . لقد دفع بعضهم الى آتون المعارك تقريبا بصورة مباشرة من المدرسة ، وكان بعضهم قد سبق نشاطه في الدفاع عن اليشوف مرحلة انتهائه من دراسته . وعلى الرغم من الخبرة التي خبروها في الحرب فان بلوغهم السريع لم يكن كاملا ، وقد أبرزت الاهتزازات التي مرت بهم ، وارهاتهم الدائم من العمليات ، والوقوف الشاق وهم شاكو السلاح في اثناء عمليات التصف المتكررة ، كل هذا أبرز بصورة واضحة أكثر كونهم أطفالا : « مجموعة مبرقشة ومنوعة الى حد ما ، ترتدي من كل ما يصل الى أيديها ، ومحياهم ، لسبب ما ، يبدو مثل منظر أطفال منبوذين أكثر مما يبدو كجنود » (ص ١٥) . . . « لقد حل بي وهن . . . ان حياتي لم تبدأ بعد . ما الذي فعلته حتى الان . ماذا أنا كلي . ما الذي لي بي . . . انني أبكي في الحال من الحزن . . . لا أريد أن أموت . . . أريد فقط أن يكون من الممكن أن أعيش حياة جميلة ، دون فراق ، ودون خوض للمعارك . . . » (٤٠٢ - ٤٠٣) .

وهؤلاء الجنود يخوضون المعارك ويقومون بواجبهم كمقاتلين محنكين وذوي خبرة ، ولكن فجأة يطل من الثياب العسكرية في اثناء المعركة وفي ذروتها ، ذلك الفتى الصغير ، شبه الطفل : « توقف جندي وانبطح الطابور . . . وفجأة يتضح ان عيون زافي زرقاء سماوية . وكان يبدو مثل طفل صغير ، وكان من الانسب له من كل شيء ان يلعب معه الكرة أو لعبة الاستغماية » (٥٠٩) . . . « السننا جميعا شبانا وصغارا للعناية ، ليس كذلك . . . ليس الواقع أننا لم نضاجع امرأة قط بعد . . . وأما تبكي دون تعزية ، تبكي وتبكي دون نهاية . . . » (٥٠٩) . « أريد أن أجري الان الى المنزل : يا امي ، لقد قتلت ، لقد قتلت أنا كذلك . كفى . . . » (ص ٦٢٨) . لقد وصلوا الى الجبهات في ذروة أيام البلوغ ،